المحاضرة الرابعة

الاحتلال الفرنسي للجزائر

منذ مطلع القرن الخامس عشر والقارة الإفريقية تعرف تحرشات وأطماع استعمارية خاصة من الجانب الأوروبي، إلا أنها كانت ضعيفة ودون فعالية خاصة مع التواجد العثماني بالسواحل الإفريقية وسيطرتها عليها، ماشكل عائقا كبيرا أمام المحاولات المتكررة لاحتلال المنطقة والتفرد بثرواتها وخيراتها، إلا أن المرحلة الأخطر والفعلية للسيطرة على القارة الإفريقية كانت خلال القرن التاسع عشر، حيث تزايد الهجمات والضربات العسكرية الأوروبية، لعل من أبرزها أطماع الدولة الفرنسية في السيطرة على الجزائر.

العلاقات الجزائرية الفرنسية قبل الاحتلال:

ولقد كانت لفرنسا والجزائر علاقات على مختلف الأصعدة وهي علاقات مميزة إذا ماقورنت مع بقية الدول الأوروبية الأخرى، وهذا التمييز مرجعه المكانة التي أضحى يتمتع بها دبلوماسيوها وتجارها وقناصلها بعد إبرام فرنسا لمعاهدات الإمتياز مع الدولة العثمانية في الثلاثينيات من القرن السادس عشر في عهدي الملك فرنسوا الأول والسلطان سليمان القانوني، إذ ضمنت لهذه الأخيرة إمتيازات سياسية وتجارية في كل المدن العثمانية والتي منها الجزائر، يمارس فيها التجار الفرنسيون مختلف الأنشطة الاقتصادية، ويتمتعون في نفس الوقت من التسهيلات التي منحتها السلطات الجزائرية، وتطورت هذه العلاقات بين البلدين إلى درجة أن الجزائر منحت الحكومة الجزائرية العديد من المرات قروضا بدون فوائد لشراء الحبوب الجزائرية، كما سارعت حكومة الجزائر إلى فتح الموانئ أمام التجار الفرنسيين بعد أن أغلقت في وجههم الأسواق الأوروبية.(1)

أسباب الاحتلال الفرنسي للجزائر:

في العموم تعتبر حادثة المروحة عام 1927م للداي حسين من السبب البارز والرئيسي لتأزم العلاقات الفرنسية الجزائرية، إلا أنه وضمنيا كانت الأطماع الاستعمارية الفرنسية موجودة قبل ذلك بفترة زمنية طويلة، ولها عدة أسباب يمكن تلخيصها فيمايلي:(2)

● **الأسباب السياسية :** وتتمثل في اعتبار حكومة الرياس في الجزائر تابعة للإمبراطورية العثمانية التي بدأت تنهار، والدول الأوروبية تتهيأ للاستيلاء على الأراضي التابعة لها، وخاصة أن الفرنسيين كانوا يعتقدون أنهم سيحصلون على غنيمة تقدر ب150 مليون فرنك توجد بخزينة الداي، كما أن شارل العاشر ملك فرنسا كان يرغب في خلق تعاون وثيق مع روسيا في حوض البحر الأبيض المتوسط، حتى يتغلب على الهيمنة البريطانية في هذا البحر ويتمركز في ميناء الجزائر، الذي كان يعتبر في نظر الملك الفرنسي تابعا للإمبراطورية العثمانية المنهارة.

● **الأسباب العسكرية :** عند إنهزام نابليون في معركة"واترلو" سنة 1815 وتحالف الدول الكبرى ضد الجيش الفرنسي في أوروبا، شعر ملك فرنسا أنه من الأفضل أن يعتمد على سياسة التوسع في إفريقيا، ويعمل على إشغال الجيش بمسائل حيوية تتمثل في احتلال الجزائر وتحقيق نجاح باهر هناك، وبالتالي يتخلص الملك من إمكانية الجيش بإنقلاب ضدهفي فرنسا.

● **الأسباب الاقتصادية :** تعاون الرأسماليون الفرنسيون الذين كانت تدفعهم مصالحهم المالية إلى التوسع والعثور على أسواق جديدة ومواد خام ضرورية لهم، مع رجال الجيش الفرنسي الذين كانوا يبحثون عن المغامرات وملء جيوبهم بواسطة النهب حتى يرتقوا إلى مصاف الشخصيات الراقية في المجتمع الفرنسي، كما أن مجموعة كبيرة من التجار كانت متحمسة لفكرة احتلال الجزائر والاستيلاء على الأراضي الخصبة بها وزراعة العنب والبحث عن الذهب في المناجم الجزائرية.

● **الأسباب الدينية :** في الحقيقة أن الصراع الذي كان قائما بين الدول المسيحية الأوروبية وبين الدولة العثمانية الإسلامية قد انعكس على الجزائر، وليس هناك شك أن التعاون الوثيق بين الدولة العثمانية الإسلامية وبين الدولة الجزائرية المؤيدة لها في الدفاع عن حوزة الإسلام، قد دفع بالدول المسيحية في أوروبا بأن تتعاون فيما بينها لضرب لضرب المسلمين في الجزائر.